على آن تصنع هذه الثورة الثقافية ، لنفسها نموذجها الخاص المنبثق عن وضع الشعب الفلسطيني نفسه ، وألا تكون تقليدا لأي نموذج آخر معروف . وهذا الكلام يكتسب صفة رسمية ايضا : لأنه قيل في خطبة افتتاح ندوة الخبراء الأخيرة في بيروت .

إذن يجب، منذ البدء، أن نتناول المشروع بجدية كافية : لأنه يبدو من خلال طرح مناصريه على الأقل ، أجراء مشروع ثقافي تربوي علمي في التاريخ المعاصر للشعب الفلسطيني ، بل ربما للوطن العربي كله . ويزيد الأمر جديـة أن هذا « الزخم في الطموح » ــ إن صح التعبير ــ ليس من صنع أفراد متحمسين فحسب ، بل إنه يستند إلى تعاون ثلاث جهات رسمية لها إمكاناتها وسمعتها ومكانتها .

أ ــ اليونيسكو .
ب ــ منظمة التحرير الفلسطينية ، ممثلة بشكل مباشر بالصندوق القومي الفلسطيني .
جـ ــ الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي .

ومن الضروري التذكير بأن دخول الصندوق القومي الفلسطيني طرفا أساسيا في مشروع الجامعة (بدلا من دخول دوائر أخرى مختصة في المنظمة) ، ناجم أصلا عن الحماسة الشخصية لرئيسه الدكتور وليد قمحاوي ، الذي لا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا ، انه جاهد سنوات طويلة ، حتى استطاع أن يجعل من المشروع شيئا مقنعا ولا سيما في أوساط منظمة التحرير .

ويشير غلاف كراس الدراسة التمهيدية إلى أن هذه الدراسة اعدت من قبل مجموعة عمل تمثل هذه الجهات الثلاث .ويعطي الكراس فكرة سريعة عن خلفية الجامعة المفتوحة ، يتضح منها أن المباحثات التمهيدية مع اليونسكو بهذا الشأن ، بدأت في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٧٥، ثم تبعتها اتصالات بين منظمة التحرير الفلسطينية والصندوق العربي للانماء في اوائل سنة ١٩٧٦ ، وأخيرا اتفقت الجهات الثلاث على تشكيل فريق عمل يقوم بوضع دراسة تمهيدية للجدوى ، من شأنها أن تحدد مهام ووظائف « دراسة الجدوى » بالتفصيل .

لقد ضم فريق العمل عددا من الخبراء في مجالات مختلفة الديموغرافيا : علم الاجتماع : المناهج : وسائل التعليم . وقدرت تكاليف إنجاز « دراسة الجدوى » بأكثر من اربعمئة ألف دولار ، على أن تكون اليونسكو هي المنظمة الفنية المشرفة على التنفيذ . وقد قام الفريق الذي يتألف من باحثين عرب وفلسطينيين (معظمهم من العرب العاملين في الجامعات الاميركية) ، بالاطلاع على أنماط التعليم المفتوح الذي تمارسه دول العالم المختلفة مثل بريطانيا والدول الاشتراكية . ولم يتبين ، تماما ، ما هو المقصود بالحديث عن التعليم المفتوح الذي تمارسه الدول الاشتراكية ، ولكن يبدو أن فريق الجدوى مهتم جداً بهذا الأمر : وقد انضم إليه مؤخراً بحسب ما أعلنه رئيس فريق العمل في ندوة بيروت ، الدكتور موهلي من جامعة كارل ماركس في لايبزغ ، الذي كان من المقرر أن يحضر الندوة لولا حادث مفاجيء تعرض له وهو في طريقه الى بيروت ، اضطره للعودة الى برلين للمعالجة .

واطلـــع الفريق على الدراسات المتعلقة بالتعليم المفتوح في الصين وتانزانيا ، كما ذهب بعض أعضائه وعاين الجامعة اليابانية المفتوحة والوسائل التكنولوجية التي تستخدمها . كما أجرى الفريق مسحا مبدئيا لأوضاع المخيمات والتجمعات الأخرى الفلسطينية ، وقام بالاتصالات اللازمة بالدول العربية التي تؤوي الفلسطينيين ، وتباحث مع الجهات المعنية فيها بالثقافة والتربية والتعليم العالي والاعلام لدراسة الامكانات القائمة ومجالات التعاون المقبل . وبهذا يكون الفريق قد استطاع تجميع العناصر الكافية لوضع التصور المطلوب ، الذي عرض جانب منه على مشاركي ندوة بيروت .

ويمكن مراجعة تصريحات الدكتور إبراهيم أبو لغد ، رئيس فريق العمل ، لجريدة « السفير » ، في ١٩٨٠/١/٣١ ، والواقع أن المشروع لم يلق بعد « التغطية » الاعلامية الكافية . وإذا أريد له أن يكون نموذجا جديداً من نماذج « الثورة الثقافية » ، فلا بد من العمل على تعبئة جماهيرية كافية لمساندته والتفاعل معه .

الدراسة التمهيدية للجدوى

أكدت الدراسة التمهيدية لـــ « الجدوى » الحاجة الماسة لتوفير إمكانات التعليم العالي للفلسطينيين ،